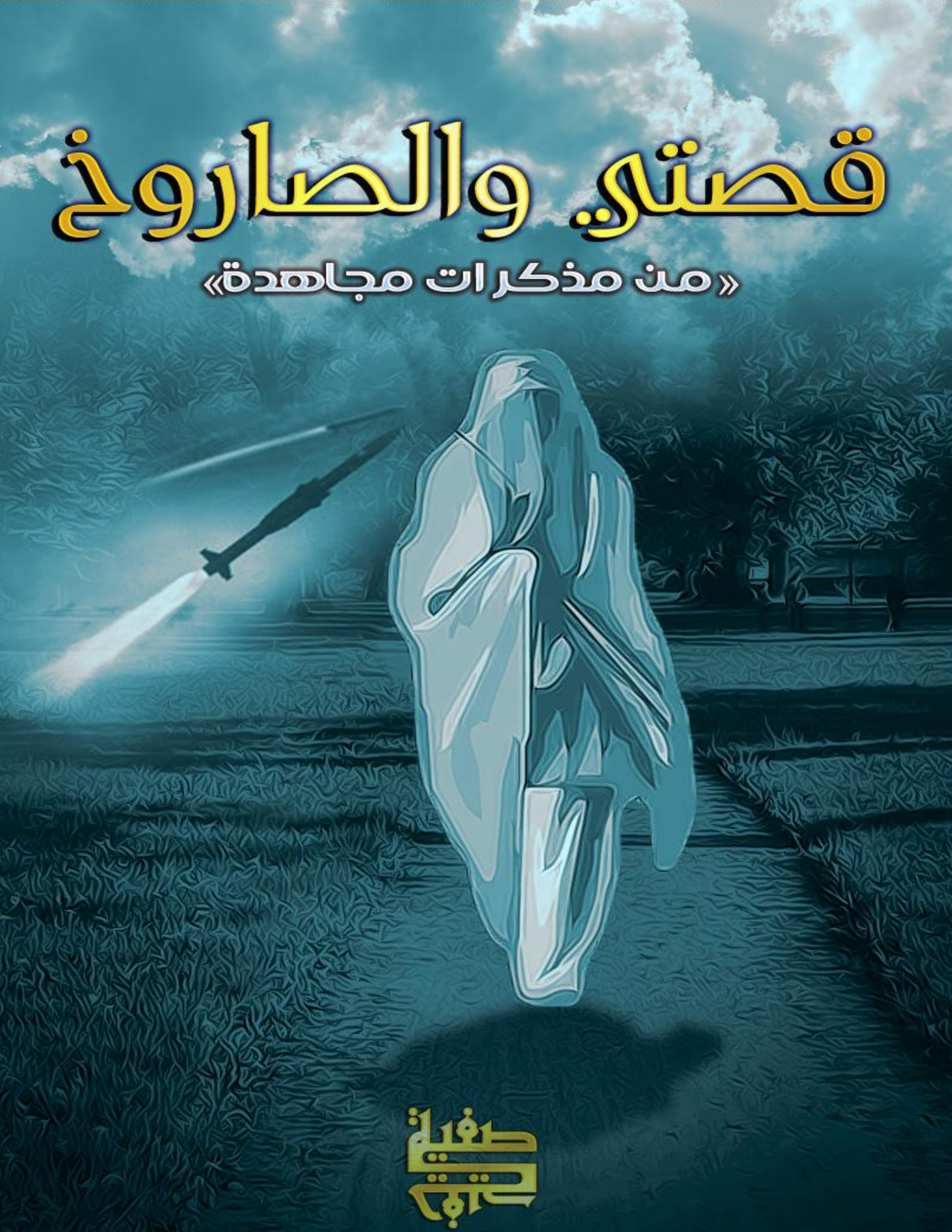
قصتي والصاروخ

«من مذكرات مجاهدة»



ــ بسم الله الرحمن الرحيم ــ

:: قصتي والصاروخ ::

كانت أم عبد الله تتفكر في تلك التجربة الفريدة التي عاشتها مع أقرب الناس إلى قلبها، زوجها المجاهد، إنها لا تستطيع أن تنساها أبدا وكيف لها أن تنسى تلك اللحظات التي تشربت بأنفاسها وزفراتها المتخمة بالكلم، وأصبحت من بعدها تتذكر رحمة الله بها وتسأله من فضله العظيم ..

كان ذلك في يوم من الأيام..

قال المجاهد الأول: نحتاج إلى مموّه..

قال المجاهد الثاني: ماذا؟

فرد عليه :أجل نحن بحاجة لمموه والأفضل أن يكون امرأة..

قال المجاهد الثالث: ماذا تقول؟.. مموه وامرأة؟! .. كل هذا لإطلاق صاروخ.. لم يسبق أن فعلناها!..

رد الأول: وهذا المطلوب أن تكون أول مرة، كما أن المنطقة التي نحن بصدد إطلاق الصواريخ منها تحتم علينا الاستعانة بامرأة..

قال المجاهد الثاني: ولم؟ أين المكان..؟

فرد عليه: هناك..

فقال الثاني :أنا أتكفل بالأمر..

ناشدوه: من؟

قال: زوجتي ..أم عبد الله..

كانت أم عبد الله في منزل أهل الزوج تعد لهم الغداء وفجأة رن الهاتف: "السلام عليكم".

فردت قائلة: "وعليكم السلام يا غالي كيف حالك وحال إخوانك من حولك...؟".

ثم بدأت بسيل من الأسئلة والدعاء لهم ولكنه استوقفها فليس لديه متسع من الوقت..

وقال: "جهزي نفسك بعد العصر سآتي وآخذك.."

فقالت متسائلة: خيرا إن شاء الله..

فأجابها: ستعرفين لاحقا..

جهزت أم عبد الله الغداء للعائلة وللأولاد ودماؤها تجري في عروقها بحرارة وتدعو الله أن يأتي بخير..

ثم أذن العصر وعاود الزوج الاتصال بها..

فقال :هل أنت جاهزة..؟

فردت: نعم ولكن أرجو أن تطمئنني..

فقال : حسنا أظن أنه قد حان الوقت لتعرفي.. ستذهبين معنا لإطلاق صاروخ .. فإن أردت التراجع فيمكنك ذلك وإلا فلا تخبري أحدا..

فصاحت : التراجع! .. عن ماذا تتكلم؟ أبعد أن جهزت نفسي.. لا والله لا أتراجع بعد أن أتتني الفرصة لأقدم شيئا لله.. أنا مستعدة..

ثم أخذت تلهج بالدعاء والشكر لله تعالى ودموعها تسيل من عينيها هل من الممكن أن يحصل لها ذلك..؟ هل من الممكن أن تقف على ثغر من ثغور الإسلام وهي المثقلة بالذنوب والمعاصي .. ثم جال بفكرها كل ما قيل عن الشهيد وجزائه.. يا الله هل ستتقبلني وتتقبل بذلي لك في هذا العمل ..؟ هل ستكتب لي الشهادة...؟

عندما حانت لحظة الانطلاق رن جرس الباب..

لا ليس زوجي إنهم ضيوف..! يا الله ما هذه المصيبة؟! كيف سأخرج؟.. قالت أم عبد الله متسائلة...

يا إلهي لقد كان الموقف معقدا والآن تعقد أكثر فلا أدري كيف سأخرج دون إعلام من في البيت فأنا أسكن مع أهل زوجي.. ولمن سأترك أطفالي؟ ..وهاهم الضيوف قد وصلوا .. ولكن مهلا لقد قلب

الله المحنة إلى منحة.. لأن الضيوف ليسوا إلا أخت زوجي وعائلتها ..!

سلمت أم عبد الله على أخت زوجها وأخبرتها أنها ستخرج لأمر مهم وأبقت أطفالها عندها وانشغل أهل الدار بالرجال بعيدا عن الأنظار وهنا سنحت لها الفرصة، وما إن خرجت من المنزل حتى جاءت السيارة فأسرعت بالصعود في المقعد الخلفي حيث كان زوجها يرافقه السائق وأخ مجاهد آخر..

تتذكر أم عبد الله الموقف: كيف يمكنني أن أصف شعوري وأنا جالسة على ذلك المقعد .. أحسست بدمائي تغلي في عروقي وحرارتي وقد ارتفعت وأصبحت غير قادرة على التنفس وكأن الهواء قد خلا من الأكسجين من هول هذا الموقف.. أنا المرأة العادية التي لم تقدم بين يدي ربها شيئا.. أذهب لإطلاق صاروخ على أعداء الله !؟

ولكن سبحان الله الذي ينزل سكينته على عباده المتقين.. فما رأته داخل تلك السيارة والله لمهيب .. فها هو زوجها وإخوانه في الله يتضاحكون ويتبادلون النكات وكأنهم ذاهبون إلى نزهة ولم تخلُ فترة

الصمت في حديثهم من دعاء أو تذكير..

فانتقلت السكينة إلى نفسها رويدا رويدا في ظل هذه الأجواء، وهدأت دماؤها بعض الشيء ولكن الخوف لم يختف تماما..

كان زوج أم عبد الله يمسك بجهاز في يده ويجربه ثم أعطاها إياه..

قائلا: احفظيه معك واحرصي عليه جيدا..

كان الجهاز عبارة عن تايمر (مؤقت لإطلاق الصاروخ)، فأخذته أم عبد الله على وجل، وشعرت كأنها تحمل قلبها في كفة فسألته سؤالا ظل يراودها: لماذا أنا معكم؟

فأجابها: لأن المنطقة التي سنذهب إليها تحتم علينا ذلك، فالذهاب إلى ذلك المكان بصفتنا رجالا لوحدنا سيكون من السهل على الزنانات "طائرات الاستطلاع" أن تكشفنا، أما بوجودك سيعطينا ذلك

بعض الوقت للتنفيذ..

وكانت هذه مهمة أم عبد الله أن تموه على طائرات الاستطلاع ..

وتتذكر أم عبد الله ..

فجأة توقفت السيارة في وسط المدينة..

واستغربت عندما نزل السائق إلى حديقة كانت بالطريق وأخذ مكانه زوجها وتحولت لتجلس بجواره ثم جلس الأخ الآخر بالخلف..

كانت أم عبد الله تظن أنهم جميعا ذاهبون لأداء العملية ولكن فيما بعد علمت أن الأخ الذي نزل لم يكن من جماعتهم ولكنه مناصر ومؤيد لهم، وضع سيارته تحت إمرتهم وساق إلى منتصف الطريق حتى لا يحرم الأجر وقد كان من الممكن أن ينكشف أمرهم وتصطادهم إحدى الزنانات ويخسر مصدر رزقه، تلك السيارة، ولكنه لم يبال بذلك، أولا لثقته بالله، وثانيا لأنها كانت بنظره تضحية صغيرة في

سبيل الله..

ثم أكملوا المسير وإذا بهم يتوقفون مرة ثانية أمام منزل في إحدى الحارات حيث خرج أخ ثالث كان يخبئ الصاروخ معه فصعد به إلى السيارة ومن ثم انطلقوا نحو هدفهم، وطوال الطريق لم يتوقف لسان أم عبد الله عن الدعاء والاستغفار وكلما تذكرت بعضا من ذنوبها تبدأ دموعها تسيل بل تنهمر..

بدأت السيارة تسلك طريقا قفرا تبدو فيه الحياة وكأنها معدومة وعندما علمت أنهم يقتربون من السلك الحدودي عاودها الخوف، خوف النفس البشرية التي تحمل جانبا كبيرا من الضعف.. ثم فجأة، لاح المكان..

قال زوجها: ها هو السلك يمكنك أن تري الدبابات أليس كذلك؟

ردت أم عبد الله: بلى أراها إنها لا تبعد كثيرا عنا..

ودخلت السيارة إلى المكان حتى وجد الإخوة المجاهدون موقعا مليئا بالأشجار وترجل الجميع من السيارة بما فيهم أم عبد الله، ثم أسرعوا لاختيار مكان مناسب للإطلاق..

فوجدوه وقد كان مكانا ضيقا نوعا ما ثم أسرع أحدهم لتجهيزه إذ أن الصاروخ يحتاج إلى مكان مرتفع قليلا..

وقفت أم عبد الله بالقرب من زوجها وبدأ المجاهد الثالث بفحص الصاروخ ثم أخذ زوجها الجهاز من يديها وأعطاها كاميرا ديجيتال وبدأ يشرح لها كيف تستخدمها حتى تتمكن من تصوير لحظة انطلاق الصاروخ وتركها معها وأخذ معه التايمر ثم بدأ بفحصه ..

أجهشت أم عبد الله بالبكاء وهي تتذكر..

لقد تنبهت لارتفاع صوت الزنانات وبدأ بعض الناس بالوفود الى المكان..

قال الأخ: ماذا جرى؟ ماذا هناك؟

رد الزوج: التايمر لا يعمل وها قد صنعت آخر ولكنه لا يعمل أيضا..

قال الثالث: سأحاول مرة أخرى..

ومرت دقائق شعرت فيها أم عبد الله كأنها ساعات تمر فلو أن الأمر سار كما ينبغي لكان الجميع الآن في طريق العودة بحفظ من الله.

قالت متسائلة: هل من الممكن أن يكون الأمر بسببي، يا الله أبسبب ذنوبي ترفض عملهم؟ وانحصر تفكيرها في هذه النقطة..

صرخ زوجها: هذا يكفي.. سنلغي العملية.. هيا فليصعد الجميع..

أعاد الأخ ترتيب المكان حتى لا يشك أحد في شيء وصعد الجميع إلى السيارة وكانت أم عبد الله كالمصدومة مما وصل إليه تفكيرها..

سألها زوجها: هل تعرقت يداك فأصيب الجهاز؟

فبدأت دموعها تنهمر ...وقالت في نفسها: إذًا فهم يفكرون أيضا أنني السبب..

وردت عليه قائلة: لا وكيف تتعرق وتصيب الجهاز وأنا أرتدي القفازات.. !

فقد كانت أم عبد الله ترتدي الثياب الشرعية كاملة فلا يظهر منها شيء حتى أنها للحظة فكرت أن الزنانة ستطلق صاروخا نحوهم بسبب لباسها..

شعر زوجها بما يجول في خاطرها فقال مخاطبا الجميع: "عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم".

فأجابوه: نعم قدر الله .. والله إنا لمتفائلون خيرا.. فلعل الله لم يقدر لنا إطلاق الصاروخ لأن المكان بدأ يزدحم بالناس فلم يشأ أن يصابوا بأذى، ولعل الله لم يعجل منيتنا حيث بدأت الزنانات تحلق فوقنا تماما ولعل.. ولعل.. وأخذ الإخوة المجاهدون يعللون لبعضهم البعض سبب الإخفاق دون أن يلقي أحدهم بالسبب على الآخر..

ثم أوصلهم أحد الإخوة المجاهدين إلى غاية منزله واستأنف البقية طريقهم، ثم أذن المغرب فتوقفوا أمام مسجد قريب وذهبوا للصلاة وبقيت أم عبد الله في هذه الأثناء في السيارة لتصلي بسبب عدم توفر مصلى للنساء في ذلك المسجد، ويا لدهشتها عندما رأت أحد الإخوة المجاهدين يذهب ليحضر بعض السندويشات والعصير، "لقد كان الجميع صياما"..

وطوال طريق العودة لم يتوقفوا عن الحمد والشكر لله وتهنئة بعضهم بالعودة سالمين دون يأس ولا تسليم..

وبعد أن أوصلوا أم عبد الله إلى المنزل كانت هي المكدرة من بينهم، وكان أهون عليها الموت على أن ترجع وهي تشعر بأنها السبب في

الإخفاق..

فأقبلت تصلي وتبكي طالبة العفو والمغفرة من الله وتسأله ألا تكون ذنوبها سببا في تعطل الأمر ثم كتبت إلى زوجها رسالة بالجوال قائلة: "زوجي العزيز إذا كنتم بحاجتي مرة أخرى فأنا عند الطلب"..

فرد عليها برسالة :"بارك الله فيك والله والله حبي واحترامي لك يزداد يوما بعد يوم".

وسبحان الله الذي لا يريد لعباده إلا خيرا، علمت أم عبد الله فيما بعد أن الصاروخ لم يكن من صنع الإخوة المجاهدين وأنهم كانوا يريدون تجربته وقد كان هناك احتمال أن ينفجر فيهم قبل إطلاقه فلم يرد الله لهم أن ينكشف مكان إطلاقه في منطقة يمكن للإخوة المجاهدين أن يطلقوا منها خمسة صواريخ بدل الواحد.

وبقيت أم عبد الله تعتز بهذه التجربة ويرتجف قلبها في كل مرة تتخيل أنها ستعيدها، وتسأل الله أن يمنّ عليها بالاستعمال في نصرة دين الله والذود عن عباده المسلمين وأن يختم لها بالشهادة.

أخواتكم في ورشة حفيدات صفية